

الوصية الصغرى

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

صبري بن سلامة شاهين





مكتبة دار الحميضي

دار الكتاب والسنة

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

كتابُ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ قولي وما صحَّتْ بِهِ الآثَارُ دِيني
فَدَعْ مَا صَدَّ عَن هاذي وَخُذْهَا تَكُن مِنها علىٰ عَيْنِ اليَقينِ
[" نفح الطِّيب " (١٢٧/٢) لِلمَقَّري]

رمز الحاسب : RR16-95/003618001
المؤلَّف : الوصية الصغرى .
المؤلِّف : ابن تيمية - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم .
المحقق : شاهين - صبري بن سلامة .
الناشر : دار الكتاب والسنة - باكستان .
مكتبة دار الحميضي - الرياض .

دار الكتاب والسنة
P.O.BOX: 11106
Karachi-75300 Pakistan
اسلام آباد - برمنجهام - نيو يورك

مكتبة دار الحميضي
ص.ب ٦٣٥١٩ الرياض ١١٥٢٦
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٢٥٠٦٢٥ - ٤٢٥٠٩٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمـة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. - ﷺ -

﴿يـاأيهـا الـذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾. [آل عمران: ١٠٢].

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾. [النساء: ١].

﴿يـاأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾. [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعـــد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد

- ﷺ - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقـول الله - تعـالى - في محكم التنزيل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون**﴾. [الصف: ٢، ٣].

ينبغي على المسلم ألا يغيب عن ذهنه هذا التوجيه الرباني وألا يوصف بهذا الذم وبهذا المقت ﴿**كبر مقتاً عند الله..**﴾ بل يجعل أعماله شاهدة على صدق أقواله. وهكذا كان الصالحون من سلف هذه الأمة - رحمهم الله تعالى - فقد قال الحسن البصري - رحمه الله تعالى -: «إن من كان قبلكم رأوه [أي القرآن] رسائل من ربهم. فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار» وينسب هذا القول أيضاً إلى الحسن بن عليٍّ - رضي الله عنهما[١].

وقال قتادة في قول الله - عزّ وجل -: ﴿**والذين هم عن اللغو معرضون**﴾. [المؤمنون: ٣٠]. أتاهم والله من أمر الله ماوقذهم عن الباطل[٢]. أي صرفهم وأبعدهم عنه.

وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله... وماتدبر آياته إلا باتباعه، وماهو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده.. حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٥٠٠ والتبيان في آداب حملة القرآن ص ٢٨.
(٢) الزهد لابن المبارك ص ٢٧٦.

فما أسقطت منه حرفاً. وقد والله أسقطه كله، مايُرىٰ القرآن له في خلق ولا عمل[1].

وقال مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يتلونه حق تلاوته﴾. [البقرة: ١٢١]. يعملون به حق العمل[2].

قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ: [ثم إني موصيك ياطالب العلم بإخلاص النية في طلبه وإجهاد النفس على العمل بموجبه. فإن العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً... فلا تأنس بالعمل مادمت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ماكنت مقصراً في العمل ولكن اجمع بينهما وإن قل نصيبك منهما... والقليل من هذا مع القليل من هذا أنجى في العاقبة، إذا تفضل الله بالرحمة، وتمم على عبده النعمة... والعلم يراد للعمل، كما العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم. كان العلم كلًّا على العالم، ونعوذ بالله من علم عاد كلًّا وأورث ذلًّا، وصار في رقبة صاحبه غِلًّا.... وكما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها وراعى واجباتها فلينظر امرؤ لنفسه وليغتنم وقته. فإن الثواء قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمعاد ﴿فمن يعمل مثقال ذرة

(١) الزهد ص ٢٧٤.

(٢) الزهد ص ٢٧٣.

خيـراً يـره* ومـن يعمـل مثقـال ذرة شـرًّا يره﴾. [الزلزلة: ٧ ـ ٨][١].

وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ القائل: «**مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه**»[٢].

وقـال الحسن البصري: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ماوقر في القلوب وصدقته الأعمال. من قال حسناً وعمل غير صالح رده الله على قوله. ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل وذلـك بأن الله تعالى يقول: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾. [فاطر: ١٠].

لقـد كثـرت الخـطب وتنـوعت المـواعظ وتعددت الدروس في الترغيب والترهيب وفي الصدق والوفاء وحفظ العهود وأداء الأمانات وفي الحث على التحـلي بمكـارم الأخـلاق فيسمـع النـاس ذلك فيمصمصون الشفاه وتشخص الأبصار وتشرئب الأعناق ثم بعد ذلك لم يتحرك منهم ساكناً ولم يغير منهم خلقاً.

وقـد ألف المؤلفون الكتب والرسائل وكتبوا عن زهد الزاهدين وورع الصـالحـين وإخبـات المؤمنين ومنهم من صنف في نكبات المستضعفـين وذبائح المسلمين وكيف تنتهك الأعراض. أعراض

---

(١) اقتضاء العلم العمل ص ١٥٨ ـ ١٥٩ باختصار.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١ / ٨٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٨٣١).

المسلمات لا غير في وحشية مجرمة آثمة ومنهم من رسم بحور الدماء ولهيب النار يشوي الوجوه، وتناثر الأشلاء فاشترى المسلمون الكتب وعلموا بما يحدث لإخوانهم المسلمين في كل مكان ولكن لا حياة لمن تنادي قد تسقط دمعة أو تتحشرج في الصدر حرقة أو يخرج من أموال الأثرياء درهم أو دينار ولكن لم يتغير شيء أو يحدث شيء أو عادت الأمة إلى مجدها التليد وعزها العريض.

[أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر إلى رستم ـ قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ـ فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي، وأظهروا اليواقيت واللآلي الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب صفيقة، وسيف وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، وبيضته على رأسه فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق. فخرق عامتها، فقالوا له: ماجاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه، إلى خلقه لندعوهم، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه

أبداً، حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وماموعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبىٰ، والظفر لمن بقي][١] ا. هـ.

هكـذا كان الأجـداد العـظماء أمـا الأحفاد اليوم وما أدراك ما الأحفاد في ذلة وانكسار تحت أقدام الأعداء يقدمون فروض الطاعة ويسبحـون بحمـدهم ليل ونهار، قدوتهم نجـوم الكرة، وأسوتهم مشـاهـير الرقص والغناء [إن آباءكم ـ أيها السادة المسلمون ـ قد انتشروا في عواصم الجاهلية الأولى ومراكزها الكبرىٰ، يقولون: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وخلصوا الأمة الرومية من عبادة المسيح والصليب والأحبار والرهبان والملوك. وخلصـوا الأمـة الفارسية من عبادة النار وعبودية البيت الكياني. والأمة الطورانية من عبادة الذئب الأبيض، والأمة الهندية من عبادة البقر. وأخرجوها إلى عبادة الله وحده. وأخرجوها فعلاً من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام والعالم ينتظر منـذ زمـان رسل المسلمين ينتشرون في عواصم الجاهلية الثانية، يهتفون: الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة المادة والبطن إلى عبادة الله وحده ومن ضيق عالم التنافس والأثرة والجشع المادي إلى سعة عالم القنـاعة والايثار والزهد ونعيم الروح وطمأنينة القلب. ومن

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

جور النظم السياسية والاجتماعية إلى عدل الإسلام][1] ا. هـ.

ولن تتم هذه النقلة ولن تتحقق هذه الأمنية حتى نحقق وصية الله لنا حيث قال سبحانه: ﴿**ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله**﴾. [النساء: ١٣١]. وقال سبحانه: ﴿**وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾. [البقرة: ٨٣]. وقال سبحانه: ﴿**ادفع بالتي هي أحسن السيئة**﴾. [المؤمنون: ٩٦]. ويقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «**اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**».

لذا رأينا إخراج هذه الوصية الجامعة النافعة من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ليكثر تداولها بين المسلمين ويعم نفعها إن كثيراً من القراء قد لا تصل إليهم هذه الرسالة وهي ضمن المجلد العاشر من مجموع الفتاوى.

وهذه الوصية قائمة على ركنين أساسين ألا وهما: تقوى الله وحسن الخلق.

أما تقوى الله ـ عزّ وجل ـ فأهم صفات يتحلى بها المتقون جعلني الله وإياكم منهم.

١ ـ الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والصدقة. كما قال تعالى: ﴿**الم* ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين* الذين**

(١) إلى الإسلام من جديد ص ١٩ أبو الحسن الندوي.

يؤمنـون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.
[البقرة: ١ ـ ٣].

٢ ـ إن من صفاتهم أنهم يعفون ويصفحون كما قال تعالى: **﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾**. [البقرة: ٢٣٧].

٣ ـ ومن صفـاتهم أن لا يتجـرءون على الكبائر ولا يصرون على الصغـائر بل إذا صدر منهم شيء تابوا وأنابوا وندموا واتبعوا السيئـة الحسنـة تمحها كما قال تعالى: **﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيـطان تذكـروا فإذا هم مبصرون﴾**.
[الأعراف: ٢٠١].

٤ ـ إنهم أصدق الناس في أقوالهم وأعمالهم كما قال تعالى: **﴿والذي جاء بالصـدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾**. [الزمر: ٣٣].
وقال تعالى: **﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾**.
[البقرة: ١٧٧].

٥ ـ وهم أكثر الناس تعظيماً لشعائر الله كما قال تعالى: **﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾**. [الحج: ٣٢].

٦ ـ وهم أولى الناس بالعدل على أنفسهم وعلى غيرهم كما بين الله تعـالى بقـولـه: **﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾**.

٧ ـ وأهـل التقوى يتركون مالا بأس به خوفاً مما به بأس كما بين رسول الله ـ ﷺ ـ بقوله: «**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين**

حتى يدع ما لابأس به حذراً مما به بأس» .

وبقوله ـ ﷺ ـ: **«لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ماحاك في الصدر»**

أما حسن الخلق وسلامة الصدر فهذا مالا يدركه إلا الأفذاذ من الرجال رزقني الله وإياكم الأخلاق الفاضلة ولين الجانب وسلامة الصدر فقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار»**(١) .

وقال ـ ﷺ ـ: **«إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً . . . »**(٢) .

وقال ـ ﷺ ـ: **«إن أثقل مايوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن وإن الله يبغض الفاحش البذيء»**(٣) .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، أن معاذ بن جبل أراد سفراً فقال: يانبي الله أوصني، قال: **«اعبد الله ولا تشرك به شيئاً»** قال:

---

(١) أخرجه أبوداود «في كتاب الأدب/ باب في حسن الخلق رقم (٤٧٩٨) وابن حبان رقم (١٩٢٧) موارد وأحمد ٦/ ٦٤ والحاكم ١/ ٦٠ وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٩٣، ١٩٤ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٤ رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٤٥١ والترمذي في كتاب البر والصلة/ باب ماجاء في حسن الخلق رقم (٢٠٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح .

يانبي الله زدني. قال: «**إذا أسأت فأحسنْ**» قال: يانبي الله زدني. قال: «**استقم وليحسنْ خلقك**»[١].

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**»[٢].

هذا وأرجو الله ـ عزّ وجل ـ أن ينفع بهذه الرسالة مؤلفها ومحققها وقارئها وناشرها وأن يكتب لنا الرضا والقبول إنه ولي ذلك والقادر عليه وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

كتبهـــــا
صبري بن سلامة شاهين
لستـــة أيـــام خلـــون مـــن
شهر ربيع الأول ١٤١٦هـ
بمدينة الرياض

---

(١) أخرجه الحاكم ١/٥٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد من رواية البصريين ولم يخرجاه وكذا في ٤/٢٤٤ وابن حبان رقم (١٩٢٢) موارد.

(٢) أخرجه أبوداود في كتاب الأدب/ باب في حسن الخلق رقم (٤٨٠٠).
وقال الهيثمي في المجمع ٨/٢٦ رواه الطبراني في الثلاثة والبزار وفي إسناد الطبراني محمد بن الحصين ولم أعرفه والظاهر أنه التميمي وهو ثقة وبقية رجاله ثقات.
وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٤٦٤).

ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية

قال العـلامـة المجتهد المفسر صديق حسن خان ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «التاج المكلل»:

شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام «ابن تيمية» الحراني الدمشقي الحنبلي، تقي الدين أبو العباس.

قال الشوكاني في كتاب شرح الصدور في تحريم رفع القبور: هو الإمام المحيط بمذاهب سلف هذه الأمة وخلفها، انتهى.

وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: هو العلامة الحافظ المجتهد الحجة المفسر شيخ الإسلام نادرة العصر علم الزهاد.

وقال ابن رجب: هو الإمام الفقيه المجتهد المحدث المفسر الأصولي.

وقال الحافظ شمس الدين بن عبدالهادي في تذكرة الحفاظ: هو شيخنـا الإمام الرباني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة، بحر العلوم، سيد الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، قريع الدهر، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، علامة الزمان، ترجمة القرآن، علم الزهاد، أوحد العباد، قامع المبتدعين، علامة المجتهدين.

وقـال في البدر الطالع : شيخ الإسلام ، إمام الأئمة المجتهد المطلق ، ولد سنة ٦٦١هـ .

قال ابن حجـر في الـدرر: نظر في الـرجـال والعلل ، وتفقه ، وتمهر، وتقدم وصنف ، ودرس وأفتى ، وفاق الأقران ، وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان ، والتوسع في المنقول والمعقول ، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف ، انتهى .

وأقـول أنا(١) : لا أعلم بعـد ابن حزم مثله ، وما أظن سمح الزمان مابين عصري الرجلين بمن يشابهها أو يقاربها .

قال الذهبي ماملخصـه : كان يقضي منـه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف استدل ورجح ، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه ، ومارأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ، ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه . كانت السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة ، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه . قال : ولعل فتاواه في الفنون تبلغ ثلاث مائة مجلد ، بل أكثر، وكان قوّالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

وكان أبيض ، أسود الرأس واللحية ، قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أذنيه ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال بعيد

---

(١) القائل هو العلامة صديق حسن خان ـ رحمه الله تعالى ـ .

مابـين المنكبين، جهوري الصوت فصيحاً، سريع القراءة تعتريه حدة؛ لكن يقهرها بالحلم. قال: ولم أر مثله في ابتهاله واستعانته بالله وكثرة توجهه إليه، وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كان بشراً من البشر تعتريه حدة في البحث؛ وغضب وصدمة للخصوم، تزرع له عداوة في النفوس، ولـو لا ذلـك لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم خاضعون لعلمه، معترفون بأنه بحر لا ساحل له، وكنز ليس له نظير، ولكن ينقمون عليه أخلاقاً وأفعالاً، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله - ﷺ -.

قال الذهبي: ولا كان متـلاعبـاً بالـدين، ولا يتفـرد بمسائل بالتشهي، ولا يطلق لسـانه بما اتفق، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس، ويبرهن ويناظر أسوة لمن تقدمه من الأئمة، فله أجر على خطئه وأجران على إصابته، انتهى.

قال الشـوكاني: ومع هذا، فقد وقع له مع أهل عصره قلاقل وزلازل، وامتحن مرة بعـد أخـرى، وحبس حبسـاً بعد حبس، وجرت فتن عديدة. والناس قسمان في شأنه، فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه، بل يرميه بالعظائم، وبعض آخر يبالغ في وصفه ويجاوز به الحد، ويتعصب له، كما يتعصب أهل القسم الأول عليه، وهـذه قاعـدة مطردة في كل عالم يتبحـر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره، ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لابد

أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين.

ويكـون لعلمـه حظ لا يكون لغيره، وهكذا كان حال هذا الإمام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتد به، وطارت مصنفاته واشتهرت مقالاته، انتهى.

قال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ في حقه: شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره، عني بالحديث، وسمع المسند مرات والكتب الستة ومعجم الطبراني الكبير، ومالا يحصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره، وبرع في ذلك، وقرأ في العـربية، وأقبـل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب، ونظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله ـ ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون عشرين سنة، وأفتى من قبـل عشرين أيضـاً، وأمـد بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم وبطوء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه.

وقال الذهبي: شيخنا وشيخ الإسلام، فريد الزمان علماً ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً إلهياً وكرماً ونصحاً للامة وأمراً بالمعروف ونهياً

عن المنكر، وسمع الحديث وأكثر بنفسه في طلبه، وكتب ونظر في الرجال والطبقات، وحصل مالم يحصل غيره، برع في تفسير القرآن، وغـاص في دقيق معـانيه بطبـع سيال وخاطر إلى مواقع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، فقـل من يحفظ مايحفـظه من الحـديث معزوا إلى أصوله مع شدة استحضـار له وقت إقـامـة الـدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث أنه إذا أفتى لم يلتـزم بمذهب، بل بما يقوم دليله عنده، واتقن العربية أصولاً وفـروعـاً وتعليلاً واختـلافـاً، ونـظر في العقليات، وعـرف أقوال المتكلمـين، ورد عليهم، ونبه على خطئهم، وحذر منهم، ونصر السنــة بأوضـح حجـج وأبـره براهـين، وأوذي في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت أعداءه وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته.

قال ابن رجب: ، قلت: وقد عرض عليه قضاء القضاة ومشيخة الشيوخ فلم يقبل شيئاً من ذلك، أثنى عليه ابن سيد الناس ثناءً بالغاً حسناً، وكتب الذهبي في تاريخه الكبير ترجمة مطولة له، قال فيهـا: لا يبلغ أحـد في العصر رتبتـه ولا يقاربه، وهو عجب في استحضار واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب

الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث».

قال: فلقد كان عجباً في معرفة علم الحديث، ولقد كتب «الحموية» في قعدة واحدة وهي أزيد من ذلك، وله يد طولى في الكلام على المعارف والأحوال والتمييز بين صحيح ذلك وسقيمه ومعوجه وقويمه. وقد ترجم له ابن الزملكاني ترجمة عظيمة، وأثنى عليه ثناءً عظيماً. ومدحه أبو حيان الأندلسي نظماً حسناً.

وكان الحافظ المزي يبالغ تعظيم الشيخ والثناء عليه حتى كان يقول: لم يُرَ مثله منذ أربعمائة سنة.

وقال ابن رجب: بلغني من طريق صحيح عن ابن الزملكاني أنه سئل عن الشيخ، فقال: لم نر ـ من خمسمائة سنة أو أربعمائة سنة ـ الشك من الناقل ـ وغالب ظنه أنه قال من خمسمائة سنة ـ أحفظ منه». وكذلك المشائخ العارفون كالقدوة محمد بن قوام، ويحكى أنه كان يقول: ماأسلمت معارفنا إلا على يد «ابن تيمية»، والشيخ عماد الدين الواسطي كان يعظمه جدًّا ويتلمذ له مع أنه كان أسن منه، وكان يقول: قد شارف مقام الأئمة الكبار، ويناسب قيامه في بعض الأمور مقام الصديقين. وكتب رسالة إلى خواص أصحاب الشيخ ويوصيهم بتعظيمه واحترامه؛ ويعرفهم حقوقه؛ ويذكر فيها أنه طاف أعيان بلاد الإسلام ولم ير فيها مثل الشيخ عملاً وعلماً، وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً في حق نفسه، وقياماً في حق الله عند

انتهـاك حرمـاتـه، وأقسم على ذلك بالله ثلاث مرات، ثم قال: أصدق الناس عقلاً، وأصحهم علماً وعزما، وأنفذهم، وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه؛ وأسخاهم كفًّا، وأكملهم اتباعاً لنبيه محمد - ﷺ -، مارأينا في عصرنا هذا من يستجلي النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح - أن هذا هو الاتباع حقيقة.

وأما شجاعته فبهـا تضرب الأمثـال وببعضهـا يتشبه الأكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نوبة غازان، والتقى أعباء الأمر بنفسه، وقـام وقعـد وطلع وخرج واجتمع بالملك مرتين، وكان «شقحب» يتعجب من إقـدامه وجرأته على المغول، وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه «ليث حرب» وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته.

وله نظم قليل وسط، ولم يتزوج، ولا تسرى، ولا له من المعلوم إلا شيء قليل، وأخوه يقوم بمصالحه، ولا يطلب منهم غداء ولا عشاء في غالب الوقت، وما رأيت في العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم لا يذكره - ولا أظنه يدور في ذهنه، وفيه مروءة وقيام مع أصحـابـه وسعي في مصـالحهم، وهو فقير لا مال له، وملبوسه كأحاد الفقهاء، ولم يخن لأحد قط، وإنما يسلم، ويصافح، ويتبسم.

وأما محنه فكثيرة، وشرحها يطول جدًّا، منها: أنه امتحن في

سنة ٧٠٥هـ بالسؤال عن معتقده ـ بأمر السلطان ـ فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، واحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرأوها في ثلاثة مجالس، وحاققوه وبحثوا معه؛ ووقع الاتفاق بعد ذلك على أن هذه عقيدة سنية سلفية، فمنهم من قال ذلك طوعاً ومنهم من قاله كرهاً، وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: أنما قصدنا براءة سماحة الشيخ، وتبين لنا أنه على عقيدة السلف.

قال الحافظ ابن القيم: سمعت «ابن تيمية» ـ قدس الله روحه ونوّر ضريحه ـ يقول في الحبس، «إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة» قال: وقال لي مرة: مايصنع أعدائي بي، أنا جنتي في قلبي، وبستاني في صدري، أين رحت فهي، معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان في حبسه يقول: لو بذلت ملأ هذه القلعة ذهباً ماعدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ماجزيتهم على ماتسببوا لي من الخير ـ ونحو هذا.

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها ـ نظر إليه، وقال: **﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾** انتهى حاصله.

قال ابن رجب وأما تصانيفه فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف

من أن تنكر، سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان بعدِّ المعروف منها ولا ذكرها، ثم ذكر نبذة من أسماء أعيان مصنفاته الكبار، ثم ذكر طرفاً من مفرداته وغرائبه، منها: أنه اختار ارتفاع الحدث بالمياه المعتصرة كالورد ونحوه.

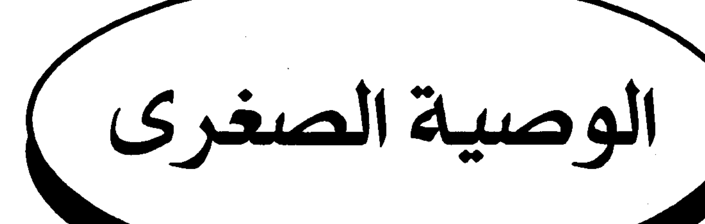
ثم ذكر ابن رجب وفاته ـ رحمه الله ـ وقال: مرض الشيخ في القلعة بضعة وعشرين يوما، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ولم يفجأهم إلا موته، وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشرين ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، ذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع ـ وتكلم به الحرس على الأبرجة فتسامع الناس بذلك، وبعضهم أعلم به في منامه، وأصبح الناس واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئا، ولا فتحوا كثيرا من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أول النهار، وفتح باب القلعة، واجتمع خلق كثير من أصحابه يبكون ويثنون، وأخبر أخوه أنه منذ دخل القلعة ختم ثمانين ختمة، وانتهى إلى قوله ﴿**إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾.

صلى عليه الزاهد القدوة محمد بن تمام، وأخرج إلى جامع دمشق، وكان الجمع أجمع من جمع الجمع، ثم ساروا به والناس في بكاء وثناء وتهليل وتأسف، والنساء فوق الأسطحة، وكان يوما مشهودا لم يعهد بدمشق مثله، ولم يتخلف من أهل البلد وحواضره

إلا الضعفاء والمخدرات، وصرخ صارخ: هكذا يكون جنائز أهل السنة، فبكى الناس بكاء كثيرا عند ذلك، واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم، وصار النعش على الرءوس يتقدم تارة ويتأخر أخرى، وخرج الناس من أبواب المدينة كلها، ودفن وقت العصر، وحزر الرجال بستين ألفا إلى مائة ألف وأكثر، والنساء بخمسة عشر ألفا. ظهر بذلك قول الإمام أحمد: «**بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز**» وختم له ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة، وتردد الناس إلى زيارة قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا. ورؤيت له منامات كثيرة صالحة، ورثاه خلق من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدان شتى وأقطار متباعدة، وتأسف المسلمون لفقده، وصلى عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام ـ القريبة والبعيدة ـ حتى في اليمن والصين، وأخبر المسافرون أنه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم الجمعة: الصلاة على ترجمان القرآن. انتهى مختصراً[1].

---

(١) التاج المكلل من ص ٤٢٠ إلى ص ٤٣٠ ترجمة رقم (٤٦٦).



تأليف

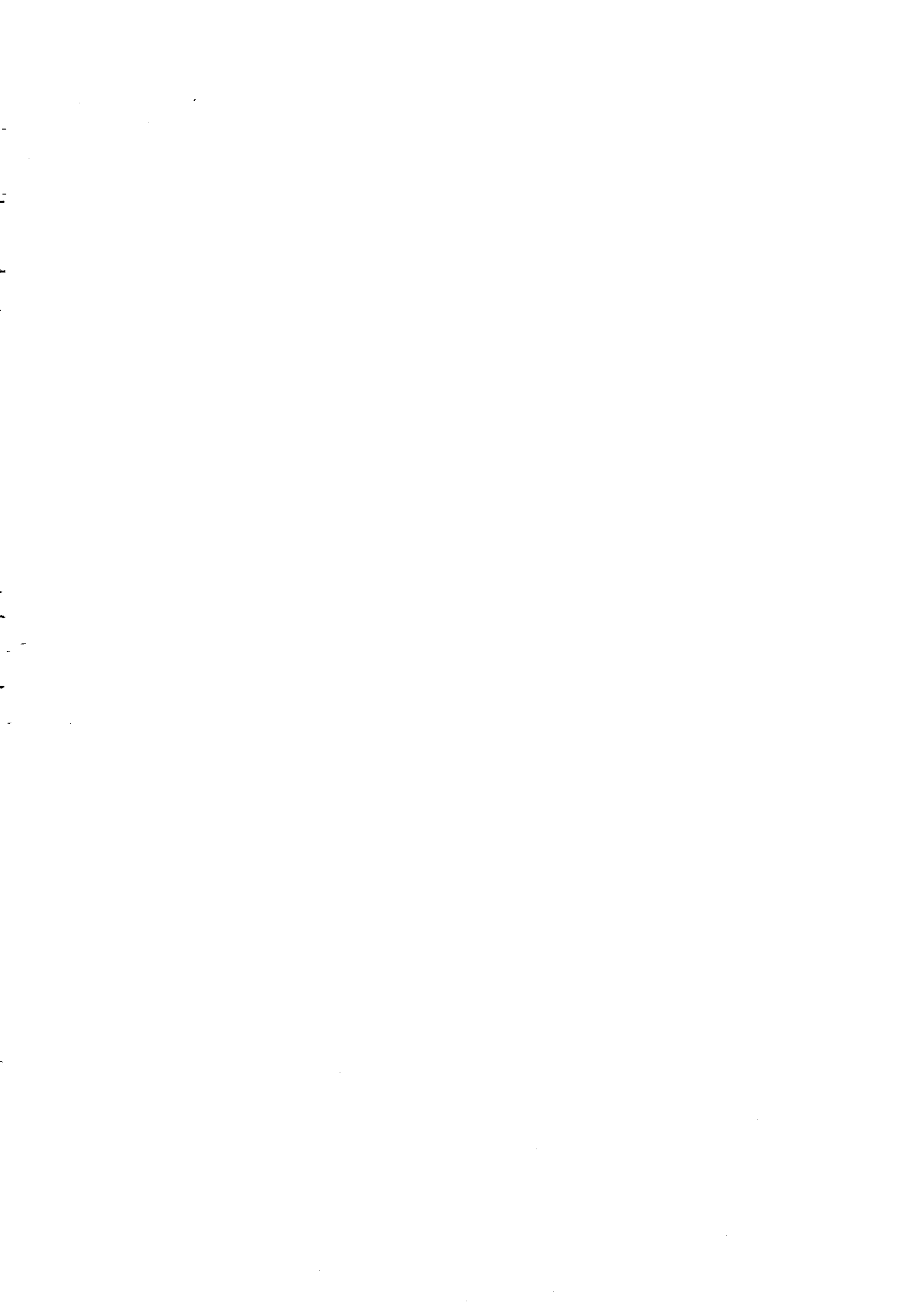
شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

صبري بن سلامة شاهين



سؤال أبي القاسم المغربي[1]

يتفضلُ الشيخُ الإمامُ، بقيةُ السلفِ، وقدوةُ الخَلَفِ، أعلمُ من لقيتُ ببـلادِ المشرقِ والمغربِ، تَقِي الدينِ أبو العباس أحمدُ ابنُ تيميةَ بأن يُوصيني بما يكونُ فيه صلاحُ ديني ودنيايَ، ويُرْشِدَني إلى كتابٍ يكونُ عليه اعتمادي في علمِ الحديثِ، وكذلك في غيرِه من العلومِ الشرعيةِ، ويُنَبِّهَني علَى أفضـلِ الأعـمالِ الصـالحـةِ بعـدَ الواجباتِ، ويُبَيِّنَ لي أرجَحَ المكاسِبِ. كلُّ ذلك على قصدِ الإيماءِ والاختصارِ، واللّهُ ـ تعالى ـ يَحْفَظُه. والسلامُ الكريمُ عليهِ ورحمةُ الله وبركاتهُ.

فأجـاب:

الحمد لله رب العالمين.

أمـا «الوصيةُ» فما أعلمُ وصيةً أنفعَ من وصيةِ اللّه ورسوله لِمَنْ عَقَلَهَا واتَّبَعَها. قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ**

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/٦٥٣ ـ ٦٦٥.

مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾. [النساء: ١٣١][1].

ووصّى النبيُّ - ﷺ - مُعَاذاً لَمَّا بَعَثَه إلىٰ اليَمَن، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ! اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتْبِعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَـــنٍ»[2]

---

(١) والوصية هي وصية جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى أقوامهم فقال - سبحانه -: ﴿**كذبت قوم نوح المرسلين* إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقـون**﴾ [الشعـراء: ١٠٥، ١٠٦] وقـال - تعـالى -: ﴿**كـذبت عاد المرسلين* إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون**﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤] وقـال - تعالى -: ﴿**كذبت ثمود المرسلين* إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقـون**﴾ [الشعـراء: ١٤١، ١٤٢] وقـال - تعالى -: ﴿**كذبت قوم لوط المرسلين* إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون**﴾ [الشعراء: ١٦٠، ١٦١] وقـال تعـالى: ﴿**كذب أصحاب لئيكة المرسلين* إذ قال لهم شعيب ألا تتقون**﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧].

(٢) أخـرجـه أحمد ٥/١٥٨ والترمذي في كتاب البر والصلة/ باب ماجاء في معاشرة الناس رقم (١٩٨٧) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والـدارمي في كتاب الرقاق/ باب في حسن الخلق رقم (٢٧٩٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٧).
وتقوى الله - عز وجل - هي وصية رسول الله - ﷺ - لأصحابه فقد ثبت عنه في أكثـر من حديث أنـه أوصاهم بتقوى الله - عز وجل - فقال - ﷺ -: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة**. . .» أخرجه أحمد ٤/١٢٦، ١٢٧ والترمذي رقم (٢٦٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأبوداود رقم (٤٦٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٩).
وكـذلـك قال رسـول الله - ﷺ -: «**اتقـوا الله وصلوا خمسكم وصـوموا** =

وكان مُعَاذُ، ـ رضي اللّهُ عنه ـ من النبي ـ ﷺ ـ بِمَنْزِلَةٍ عَلِيَّةٍ؛ فإنه قالَ له: «**يا معاذُ! واللَّهِ! إنِّي لَأحِبُّكَ**»[1] وَكَانَ يُرْدِفُهُ وَرَاءَهُ. وَرُوِيَ فِيهِ أنَّه: أَعْلَمُ الأُمْةِ بالحلالِ والحرامِ[2]، وأنَّه يُحْشَرُ أمَامَ العُلَماءِ

= **شهركم..**» أخرجه أحمد ٥/٢٥١ والحاكم ١/٩ وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٩).

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أوصيكم بتقوى الله تعالى في سر أمرك وعلانيته...**» أخرجه أحمد ٥/١٨١ وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٤).

وقال أيضاً لأبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «**أوصيك بتقوى الله تعالى والتكبير على كل شرف**» أخرجه أحمد ٢/٣٢٥، ٣٣١ وابن ماجه رقم (٢٧٧١) والحاكم ١/٤٤٥، ٤٤٦ و٢/٩٨ وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٥).

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شيء....**» أخرجه أحمد ٣/٨٢ وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٣).

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٤٤، ٢٤٥، ٢٧٤ وأبو داود في كتاب الوتر/ باب في الاستغفار رقم (١٥٢٢) والنسائي في كتاب السهو/ باب نوع آخر من الدعاء ٣/٥٣ رقم (١٣٠١) وابن خزيمة في صحيحه رقم (٧٥١) وابن حبان (موارد) رقم (٢٣٤٥) والطبراني في الكبير رقم (١١٠) والحاكم ١/٢٧٣ وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب/ باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت... رقم (٣٧٩١) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. =

بِرَتْـوَةٍ ـ أي بخُـطْوَةٍ ـ[1] ومن فَضْلِهِ أنـه بَعَثَهُ النبيُّ ـ ﷺ ـ مُبَلِّغاً عنه، : دَاعِياً، ومُفَقِّهاً، وَمُفْتِياً، وحَاكِماً إلىٰ أهلِ اليَمَن.

وكانَ يُشَبِّهُـهُ بإبـرَاهِيمَ الخليلِ ـ عليه السلام ـ وإبراهيمُ إمامُ النَّاس . وكانَ ابنُ مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ يقولُ: إنَّ مُعَاذاً كَانَ أُمةً قَانِتاً للّهِ حَنيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِين[2]، تَشْبيهاً لَهُ بإبرَاهِيمَ.

ثُـم إنَّه ـ ﷺ ـ وَصَّاه هَذِه الوَصِيَّةَ، فَعُلِمَ أنَّها جَامِعَةٌ، وَهِيَ كَذَلِكَ

= وأحمد ٣/١٨٤، ٢٨١ وابن ماجه في المقدمة رقم (١٥٤).
وأبـو نعيم في الحلية ١/٢٢٨، ٣/١٢٢ وعبـدالـرزاق في المصنف رقم (٢٠٣٨٧) وابن حبان رقم (٢٢١٨) موارد. والحاكم ٣/٤٢٢ وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٩٥).

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣١٤. وعن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسـول الله ـ ﷺ ـ: «معاذ بن جبل أمام العلماء برتوة» رواه الطبراني مرسلاً وفيه محمد بن عبدالله بن أزهر الأنصاري ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣١٤. وعن عبدالله بن مسعود قال: إن معـاذاً كان أمـةً قانتـاً لله حنيفاً مسلماً ولم يك من المشركين. فقال بعض جلسائه: ﴿إن إبراهيم﴾ قال: لم أنسَ. ثم قال: أتدرون ماالأمة؟ قالوا: لا. قال: الذي يعلم الناس الخير. قال: هل تدرون ماالقانت؟ قالوا: لا. قال: المـطيع لله ـ عز وجل ـ. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حجاج بن إبراهيم وهو ثقة.

لِمَنْ عَقلَهَا، مَعَ أنَّهَا تَفْسِيرُ الوَصِيَّةِ القُرْآنِيَّةِ.(١)

---

(١) قال العلامة ابن القيم في رسالته الموسومة بالرسالة التبوكية: [وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهياً، فيفعل ماأمر الله به إيماناً وتصديقاً بوعده ويترك مانهى الله عنه إيماناً بالنهي وخوفاً من وعيده، كما قال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فاطفئوها بالتقوى. قالوا: ومالتقوى؟! قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله. وأن تترك معصية الله على نور من الله فتخاف عقاب الله]. ا. هـ.
﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾.
وكما قيل شعراً:
إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عُريانا وإن كان كاسيا
وقيل:
خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى
وأحسن من ذلك قول الله ـ تعالى ـ:
﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب﴾ [البقرة: ١٩٧]
ودع ابن عون رجلاً فقال له: عليك بتقوى الله، فإن المتقي ليس عليه وحشة.
وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى رجل يوصيه: أوصيك بتقوى الله ـ عز وجل ـ التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها.
وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصني. فقال له: أوصيك بتقوى الله والإحسان. فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.
وقد سُئل رسول الله ـ ﷺ ـ من أكرم الناس؟ قال ـ ﷺ ـ: «أتقاهم لله...» خرجه البخاري.

أما بَيَانُ جَمْعِهَا، فَلِأَنَّ العبدَ عَلَيْهِ حَقَّانِ:

حق للّهِ ـ عزّ وَجَلَ ـ. وَحَقّ لِعِبادِهِ.

ثم الحقُّ الَّذي عَلَيْه لَابُدَّ أنْ يُخلَّ ببَعْضِه أحْيَاناً، إمَّا بتَرْكِ مَأْمورٍ بِهِ، أوْ فِعْلِ مَنْهِيٍ عَنْهُ، فَقالَ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ: «**اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ**» وَهَذِه كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، وَفي قَوْلِهِ: «**حَيْثُمَا كُنْتَ**» تَحْقِيقٌ لِحاجَتِه إلَىٰ التَّقْوىٰ في السِّرِّ وَالعَلانِيةِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا**» فَإنَّ الطَّبِيبَ مَتَىٰ تَنَاوَلَ المَرِيضُ شَيْئاً مُضِرًّا أَمَرَه بِمَا يُصْلِحُهُ. والذَّنْبُ لِلعَبْدِ كَأَنَّهُ أَمْرٌ حَتْمٌ.

فالكيس هُوَ الَّذي لَا يَزَالُ يَأْتِي مِنَ الحَسَنَاتِ بِمَا يَمْحُو السَّيِّئَاتِ. وَإِنَّما قَدَّمَ في لَفْظِ الحَدِيثِ «السَّيِّئَةَ» وَإِنْ كَانَتْ مَفْعُولَةً، لأَنَّ المَقْصُودَ هُنَا مَحْوُهَا؛ لَا فِعْلُ الحَسَنَةِ، فَصَارَ كَقَوْلِهِ في بَوْلِ الأعْرابِيِّ: «**صُبُّوا عَلَيْهِ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء/ باب صب الماء على البول ١/ ٦١.
ومسلم في كتاب الطهارة/ باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات. . رقم (٢٨٤)، (٢٨٥) والنسائي في كتاب الطهارة/ باب ترك التوقيت في الماء ١/ ٤٧ رقم ٥٣ ـ ٥٦ وأحمد ٣/ ٢٢٦ وأبو يعلى في المسند رقم (٣٤٦٧) والبغوي في شرح السنة رقم (٢٩١) وابن ماجه في كتاب الطهارة باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل رقم (٥٢٨).

وينبغي أنْ تَكُونَ الحَسَنَاتُ مِنْ جِنْسِ السَّيِّئاتِ[١]، فَإنَّه أَبْلَغُ في المَحْوِ. والذُّنُوبُ يَزُولُ مُوجِبُهَا بِأشْيَاءٍ:

أحدها: التَّوْبَة[٢].

والثاني: الاستغفار مِنْ غَيْرِ تَوْبةٍ[٣]. فإنَّ الله ـ تَعَالى ـ قَدْ يَغْفِرُ لهُ إجابةً لدُعائِهِ وإنْ لَمْ يَتُبْ، فَإذَا اجْتَمَعَتِ التَّوْبةُ والاسْتِغْفَارُ فَهُوَ الكَمالُ.

---

(١) قلت: كمن يعق أبويه فينبغي عليه أن يبالغ في برهما والإحسان إليهما. وكمن يقطع رحمه ويهجر أهله وأقاربه فينبغي عليه أن يصل ماانقطع ويقدم لهم البر والإحسان. وكمن يسيء إلى جيرانه فينبغي أن تكون حسناته الماحية لتلك السيئات أن يحسن جوار جيرانه ويتلطف معهم ويبذل لهم المعروف ويبالغ في إماطة الأذى عنهم ومحو سيئاته التي ارتكبها في حقهم. وهكذا.

(٢) قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد/ باب ذكر التوبة رقم (٤٢٥٠).
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٢٠٣ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠٠٨).

(٣) قال الله في الحديث القدسي: «.. **ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**» أخرجه مسلم في كتاب البر رقم (٢٥٧٧).
عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «.. **ومن استغفر غفر الله له**» أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات رقم (٣٤٧٠) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

الثالث : الأعْمالِ الصَّالِحَةِ الـمُكفِّرة.(١)

إمـا «الكفَّـاراتُ المُقـدّرةُ» : كَمَا يُكفِّـرُ المُجـامِعُ في رَمَضَانَ(٢) ،

---

(١) عن حمران مولى عثمان بن عفان أخبر أنه رأى عثمان دعا بإناء وتوضأ وغسل كل عضو ثلاثاً ثلاثاً. ثم قال عثمان: قال رسول الله - ﷺ -: «**من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفِرَ له ماتقدم من ذنبه**».

(٢) عن أبي هريرة قال: جاء رجـل إلى النبي - ﷺ - فقال: هلكت يارسول الله. قال: «**وماأهلكك؟**» قال: وقعت على امرأتي في رمضان. قال: «**هل تجد ماتعتق رقبـة؟**» قال: لا. قال: «**فهـل تستـطيـع أن تصوم شهرين متتابعين؟**» قال: لا. قال: «**فهل تجد ماتطعم ستين مسكيناً؟**» قال: لا. قال: ثم جلس فأتي النبي - ﷺ - بعرق فيه تمر. قال: «**تصدق بهذا**» قال: فهل على أفقر منا، فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا. فضحك النبي - ﷺ - حتى بدت نواجذه. وقال: «**اذهب فأطعمه أهلك**» رواه الجماعة.

قال الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار ٤/٢١٥. وفيه أيضاً دليل على أنه يجزىء التكفير بكل واحدة من الثلاث الخصال. وروي عن مالك أنه لا يجزىء إلا الإطعـام. والحديث يرد عليه، وظاهر الحديث أنه لا يجزىء التكفـير بغـير هذه الثلاث... وقال: وظاهر الحديث أيضاً أن الكفارة بالخصال الثلاث على الترتيب. قال ابن العربي: لأن النبي - ﷺ - نقله من أمـر بعد عدمه إلى أمر آخر، وليس هذا شأن التخيير. ونازع عياض في ظهور دلالة الترتيب في السؤال عن ذلك. فقال: إن مثل هذا السؤال قد يستعمل فيما هو على التخيير، وقرره ابن المنير. وقال البيضاوي: إن ترتيب الثاني على الأول، والثالث على الثاني بالفاء يدل على عدم التخيير مع كونها في معرض البيان وجواب السؤال فتنزل منزلة الشرط. وإلى القول بالترتيب ذهب الجمهور. وقد وقع في الروايات مايدل على الترتيب والتخيير والذين =

والـمُظاهِرُ[١]، والمُرْتَكِبُ لِبَعْضِ مَحْظُوراتِ الحَجِّ[٢]، أو تَارِكُ بَعْضَ

= رووا الـترتيب أكثر ومعهم الزيادة. وجمع المهلب والقرطبي بين الروايات بتعدد الواقعة. قال الحافظ: وهو بعيد لأن القصة واحدة والمخرج متحد والأصل عدم التعدد وجمع بعضهم بحمل الترتيب على الأولوية، والتخيير على الجواز، وعكسه بعضهم. انتهى كلام الشوكاني وهذا هو اختيار الإمام أحمد كما في مسائله عن ابنه أبي الفضل صالح رقم **٩٩٣ و٩٩٤، ٩٩٥**.

(١) الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي. تحريماً لها على نفسه، وكفارته أن يعتق رقبة، فإن لم يستطع صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستـين مسكينـاً. كما قال ـ تعـالى ـ في سورة المجـادلة: ﴿**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسَّا ذلكم توعـظون به والله بما تعملون خبـير* فمن لم يجد فصيـام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم**﴾ [المجادلة: ٣ ـ ٤]. وانظر نيل الأوطار ٦/٢٥٨ ـ ٢٦٣.

(٢) محظورات الحج هي:

١ ـ إزالة الشعر عمداً بحلق أو غيره سواء من الرأس أو من الجسد.

٢ ـ تقليم الأظفار.

٣ ـ استعمال الطيب في الثوب أو البدن بعد الإحرام.

٤ ـ الجماع ودواعيه مثل النظر بشهوة أو المباشرة والتقبيل وكذا عقد النكاح.

٥ ـ قتل الصيد البري المتوحش الحلال مثل الظباء والأرانب وكذا الحمام وهذه الخمسة يتساوى فيها الرجال والنساء. =

وَاجِبَاتِهِ(١)، أو قَاتِلُ الصَّيْدِ(٢) بالكَفَّارَاتِ المُقَدَّرَةِ وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَجْنَاسٍ:

= وأما مايخص الرجال دون النساء فهو:

١ ـ لبس المخيط وهو مايلبس في العادة.

٢ ـ تغطية الرأس بملاصق مثل العمامة والقلنسوة.

وأما مايخص النساء فهو:

١ ـ لبس النقاب وستر الوجه به.

فمن كان يؤدي أعمال الحج وارتكب محظوراً من هذه المحظورات فعليه الفدية كفارة لما فعله ومقدار الفدية: إما ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام. وهذه الفدية على التخيير إذا شاء أن يفعل واحدة منها فعل.

(١) واجبات الحج هي:

١ ـ الإحرام من الميقات.

٢ ـ الوقوف بعرفة إلى الليل.

٣ ـ المبيت بمزدلفة.

٤ ـ المبيت بمنى ليالي أيام التشريق.

٥ ـ رمي الجمرات.

٦ ـ طواف الوداع.

فمن ترك واجباً من واجبات الحج فيلزمه دم، فإن لم يستطع صام عشرة أيام: ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله. وإذا لم يستطع الصوم في الحج صام العشرة كاملة بعد رجوعه إلى أهله.

(٢) أما قاتل الصيد فينظر إن كان للصيد مثل خُيِّر بين ثلاثة أشياء:

١ ـ أن يذبح مثله ويوزعه على فقراء مكة.

٢ ـ أو يقدر قيمته طعاماً ويوزعه على المساكين لكل مسكين نصف صاع. =

هَدْي وَعِتْقٍ وصَدَقَةٍ وَصِيَام .

وَإمـا «الكَفَّارَاتُ المُطْلَقَةُ» كَمَا قَالَ حُذَيْفَةُ لِعُمَرَ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي: أَهْلِهِ وَمَـالِهِ وَوَلَدِهِ، يُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ، والصِّيَامُ، والصَّدَقَةُ، والأَمْرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيُ عن المُنْكَـر[1] .

وَقَـدْ دلَّ عَلَى ذَلِـكَ القُرْآنُ والأحَادِيـثُ الصِّحَـاحُ فِي التَّكْفِيرِ: بالصَّلواتِ الخَمْس، والجُمْعَـةِ، والصِّيَام[2]، والحَـجِّ، وَسَـائِـرِ الأعْمَالِ الّتِي يُقَالَ فِيهَا: مَنْ قَالَ كَذَا، وَعَمِلَ كَذَا غُفِرَ لَهُ، أوْ غُفِرَ

= ٣ ـ أو يصوم عن طعام كل مسكين يوماً.

أما إذا لم يجد للصيد المقتول مثلاً يخير بين الثاني والثالث من الثلاثة السابقة ويعفىٰ من الأول.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم/ باب الصوم كفارة ٢/٢٢٦ وفي كتاب الفتن/ باب الفتنة التي تموج كموج البحر ٨/٩٥، ٩٦ وفي كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام ٤/١٧٤.

ومسلـم في كتاب الإيمان/ باب بيان أن الإسـلام بدأ غريباً وسيعـود غريباً رقم (٢٣١) والـترمذي فـي كتاب الفتن رقـم (٢٢٥٨) وأحمد بن حنبل ٥/٤٠١، ٤٠٥.

(٢) أخـرجـه مسلم في كتـاب الطهارة/ باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعـة ورمضـان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر رقم (٢٣٣) (١٤، ١٥، ١٦) وأحمد بن حنبل ٢/٣٥٩، ٤٠٠، ٤١٤.

لَهُ مَاتَقَدَّمَ مَنْ ذَنْبِهِ[1] ، وهِي كَثِيرةٌ لِمَنْ تَلَقَّاهَا مِنَ السُّننِ خُصُوصاً ماصُنِّفَ في فضائِلِ الأعْمالِ .

وَاعْلَمْ أَن العِنـايَةَ بهذَا مِنْ أشَدِّ مَا بالإنْسانِ الحَاجةُ إليْهِ ، فَإنَّ الإنْسَـانَ مِنْ حِينِ يَبْلُغُ ، خُصُـوصاً في هَذِهِ الأزْمِنَةِ ؛ ونَحْوهَا مِنْ أزْمِنَةِ الفَتَرَاتِ الَّتي تُشْبُه الجَاهِلية مِنْ بَعْضِ الوُجُوه ، فإنَّ الإنْسَانَ الَّذِي يَنْشَأُ بَيْنَ أهْلِ عِلْمٍ وَدِينٍ ، قَدْ يَتَلطَّخُ مِنْ أمُـورِ الجَاهِلِيةِ

---

(١) مثل مايروى عن عثمان بن عفان عن النبي - ﷺ - أنه قال : «**من توضأ نحو وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ماتقدم من ذنبه**» .

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصوم/ باب السواك الرطب واليابس للصائم ٢/٢٣٥ ومسلم في كتاب الطهارة/ باب فضل الوضوء والصلاة عقبه رقم (٢٢٩) .

وكـذا مايروى عن سهل بن سعد أن النبي - ﷺ - قال : «**من صام يوم عرفة ، غفر له سنتين متتابعتين**» .

والحديث أخرجه الطبراني في الكبير رقم (٥٩٢٣) وأبو يعلى رقم (٧٥٤٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٩٢ [رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

وكذا حديث أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : «**من قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**» .

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات/ باب فضل التسبيح ٧/١٦٨ .

بِعِدَّةِ أَشْيَاءٍ(١)، فَكَيْفَ بِغَيْرِ هَذَا؟!

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِي - ﷺ - مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «**لَتَتبعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلكُمْ، حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**». قَالُوا: يَارَسُولَ اللهِ! اليهود والنَّصارىٰ؟ قَالَ: «**فَمَنْ؟**»(٢). هَذَا خَبَرٌ تَصْدِيقِهِ فِي قَوْلِهِ - تعالىٰ -: ﴿**فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا**﴾(٣) [التوبة: ٦٩] وَلِهَذَا شَوَاهِدَ فِي الصِّحَاحِ والحِسَانِ.

---

(١) هذا مايحدث دائماً. وقد حدث في خير القرون عندما ضرب رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا وقال الأنصاري: ياللأنصار. وقال المهاجري: ياللمهاجرين. فخرج النبي - ﷺ - فقال: «**مابال دعوى الجاهلية؟**» ثم قال: «**ماشأنهم؟**» فأخبروه بكسعة المهاجري للأنصاري. قال: فقال النبي - ﷺ -: «**دعوها فإنها منتنة**». وهذا الحديث متفق عليه. انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية رحمه الله ص ٧٠، ٧١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام/ باب قول النبي - ﷺ -: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» ١٥١/٨ ومسلم في كتاب العلم/ باب اتباع سنن اليهود والنصارى رقم (٢٦٦٩).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٥ [وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض: لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق. والأول هو البدع ونحوها. والثاني هو فسق الأعمال ونحوها. والأول =

وَهَـذا أمْرٌ قَدْ يَسْرِي في المُنْتَسِبينَ إلىٰ الدِّين مِنَ الخَاصَّةِ، كَما قَالَ غَيْرُ واحِدٍ مِنَ السَّلفِ مِنْهُمْ ابْن عُيَيْنَةَ: فَإنَّ كَثِيراً مِنْ أحْوَالِ اليَهُودِ قَدْ أُبْتُلِيَ بهِ بَعْضُ المُنْتَسِبينَ إلىٰ العِلْمِ، وَكثِيراً مِنْ أحْوَالِ النَّصارىٰ قَدْ أُبْتُلِيَ به بَعْضُ المُنْتَسِبينَ إلىٰ الدِّين(١)، كَما يُبْصِرُ ذَلِكَ مَنْ فَهِمَ دِينَ الإسْلامِ الَّذِي بَعَثَ الله بِهِ مُحَمَّداً ـ ﷺ ـ ثُمَّ نَزَّلَهُ عَلى أحْوَالِ النَّاسِ.

وَإذَا كَانَ الأمْرُ كَذَلِكَ، فَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ للإسْلام، فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّه، وَكَانَ مَيْتاً، فَأحْيَاهُ اللّهُ، وَجَعَلَ لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ في النَّـاسِ، لابُـدَّ أنْ يُلاحَظَ أحْـوَالِ الجَـاهِلِيَّةِ، وَطَرِيقَ الأُمَّتَيْنِ:

= من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات. ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنياه أعمتـه دنياه. وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل. فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون. فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم]. ا. هـ.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٥ [وجمـاع ذلـك: أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمـون الحق ولا يتبعونه قولاً أوعملاً. أو لا قولاً ولا عملاً. وكفر النصـارى من جهة عملهم بلا علم. فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله. ويقـولـون على الله مالا يعـلمـون. ولهـذا كان السـلف، كسفيان بن عيينة وغيره يقولون: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى]. أهـ.

المَغْضُوبِ عَلَيْهِم، وَالضَّالِينَ، مِنَ: اليَهُودِ والنَّصَارَىٰ، فَيَرَى أَنْ قَدْ أُبْتُلِيَ بِبَعْضِ ذَلِكَ.(١)

فَأَنْفَـعُ مَا للخَاصَّةِ والعَامَّةِ: العِلْمُ بِما يُخَلِّصُ النُّفُوسَ مِنْ هَذِهِ الوَرَطَاتِ؛ وَهُوَ اتِّبَاعُ السَّيِّئَاتِ الحَسَنَاتِ. والحَسَنَاتُ مَا نَدَبَ اللَّهُ إِلَيْهِ عَلَىَ لِسَانِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ: مِنَ الأَعْمَالِ، والأَخْلاقِ، والصِّفَاتِ(٢).

---

(١) قلت: من آتاه الله الفقه في الدين والتبصرة بأحوال الغابرين ووقف على مابتليت به الأمة من مشابهة المغضوب عليهم والضالين عَلِمَ عِلْمَ اليقين أن الله يحب البصير الناقد عند ورود الشبهات، وأنه ـ سبحانه ـ يحب العاقل الكامل عند حلول الشهوات.
وصدق والله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عندما قال: ماأشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم.
وصدق والله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ حينما قال: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتا وهديا، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا أدري: أتعبدون العجل أم لا؟
وصدق والله حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ حينما قال: المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ. قلنا: وكيف؟! قال: أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه.

(٢) **اعمل بعلمك تغنم أيها الرجلُ ... لا ينفع العلمُ إن لم يحسن العملُ**
والعلمُ زينٌ وتقوى الله زينته ... والمتقون لهم في علمهم شُغْلُ
وحجةُ الله ياذا العلم بالغةٌ ... لا المكر ينفعُ فيها لا ولا الحِيَلُ
تعلّم العلمَ واعمل ماastطعت به ... لا يلهينك عنه اللهوُ والجدلُ =

ومما يُزيلُ مُوجبَ الذُّنُوب: المَصَائِبُ المُكَفِّرَةُ، وَهِيَ كُلُّ مَا يُؤْلِمُ مِنْ: هَمٍّ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ أَذىً، فِي مَالٍ، أَوْ عِرْضٍ، أَوْ جَسَدٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ[1]، لكِنْ لَيْسَ هَذَا مِنْ فِعْلِ العَبْدِ.

= **وعلّم الناسَ واقصد نفعهم أبداً ... إيَّـاك إيَّـاك أن يعتـادك الملـلُ**
وعِظْ أخـاك برفقٍ عنـد زلتـه ... فالعلمُ يعطـف مـن يعتـاده الزلـلُ
وإن تكـن بين قومٍ لا خلاقَ لهم ... فأمـرْ عليهـم بمعـروفٍ إذا جهلـوا
فإن عصـوك فراجعهم بلا ضجرٍ ... واصبـرْ وصابـرْ ولا يحزنـك مافعلـوا
فكـلُّ شـاةٍ برجـليهـا معلقـةٌ ... عليك نفسـك إن جـاروا وإن عدلـوا

ينسب هذا الشعر لمحمد بن أبي علي الأصبهاني. انظر كتاب اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي تحقيق الألباني رقم ٤٨.

(١) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**مامن مرض أو وجـع يصيب المؤمن إلا كان كفـارة لذنوبه، حتى الشوكة يشاكها أو النكبة ينكبها**».

أخـرجـه البخـاري في كتاب المرض/ باب ماجاء في كفارة المرض ١/٧ ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب/ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك رقم (**٢٥٧٢**).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**مايصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفرّ الله بها من خطاياه**» متفق عليه.

انظر في ذلك الرسالة القيمة للحافظ ابن رجب الحنبلي الموسومة بـ «غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع» بتحقيقي ومعها رسالتي الموسومة بـ «المؤمن بين البلاء والصبر» من إصدارات دار الحميضي بالرياض.

فلمـا قَضَىٰ بهاتَيـنْ الكَلِمَتَيْنْ: حقَّ اللّه مِنْ عَمَلِ الصَّالح ، وَإصْلاحِ الفَاسِدِ، قَالَ: «**وَخَالِقِ النَّاس بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» وَهُوَ حَقُّ النَّاس .

وَجِمَاعُ الخُلُق الحَسَن مَعَ النَّـاس : أنْ تَصِـلَ مَنْ قَطَعَـكَ بالسَّـلام ، والإِكْـرَام ، والـدُّعَاءِ لَهُ، والاسْتِغْفَار، والثَّنَاءِ عَلَيْه، والزِّيَارَةِ لَهُ، وتُعْطِي مَنْ حَرَمَك مِنَ: التَّعْليم ، والمَنْفَعَةِ، والمَال ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ: في دَمٍ ، أوْ مَالٍ ، أوْ عِرْضٍ . وَبَعْضُ هَذَا وَاجِبٌ، وَبَعْضُه مُسْتَحَـبٌّ.

وَأمـا الخُلُقُ العَظِيمُ الَّذي وَصَفَ به مُحَمَّداً ـ ﷺ ـ فهُوَ الدِّيـنُ الجَامِـعُ لجَميع مَا أمَرَ اللّهُ بِهِ مُطْلقَاً[1]، هَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ. وَهُوَ تَأْويلُ القُرْآنِ، كَما قَالَتْ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللّهُ عنها ـ: «**كَانَ خُلُقُهُ القُـرْآنَ**»[2] وَحَقِيقَتُهُ المُبَادَرَةُ إلىٰ امْتِثَالِ مَايُحِبُّه الله ـ تعالى ـ بِطِيبِ نَفْسٍ وَانْشِرَاحِ صَدْرٍ.

---

(١) وهـو قولـه ـ تعالـى ـ فـي وصـف رسـول الله ـ ﷺ ـ: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾.

(٢) قال قتادة ـ وكان أصيب يوم أحد ـ: فقلت: ياأم المؤمنين! أنبئيني عن خلق رسول الله ـ ﷺ ـ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلىٰ. قالت: فإن خلق نبي الله ـ ﷺ ـ كان القرآن».
أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين/ باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض رقم (٧٤٦) وأبو داود في كتاب التطوع/ باب في صلاة الليل رقم (١٣٤٢).

وأما بَيَانُ أنَّ هَذَا كُلَّهُ في وَصِيَّةِ اللّهِ، فَهُوَ أنَّ اسم: تَقْوَىٰ اللّه يَجْمَعُ فِعْلَ كُلِّ مَا أمَرَ اللّهُ بِهِ إيجَاباً وَاسْتِحبَاباً، وَمَا نَهَىٰ عَنْهُ تَحْرِيماً

= وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ أحسن الناس خُلُقًا.

أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير رقم (٦٥٩).

وعن جابر قال: أقبلنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ حتى إذا كنا بذات الرقاع. قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ـ ﷺ ـ. قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ـ ﷺ ـ معلق بشجرة. فأخذ سيف نبي الله ـ ﷺ ـ فاخترطه. فقال لرسول الله ـ ﷺ ـ: أتخافني؟ قال: «لا» قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك» قال: فتهدده أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فأغمد السيف وعلقه... وفي رواية: ولم يعاقبه.

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير/ باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ٣/٢٢٩ ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب صلاة الخوف رقم (٨٤٣).

أليس يدل ذلك على دماثة خلقه ـ ﷺ ـ وسعة حلمه وصفحه واحتماله أذى الأعداء والجهال ولم يكن هذا هو الحدث الوحيد فأحداث السيرة وكتب السنة فيها الكثير مما يبين كرم أخلاقه وعظيم شمائله وصفاته.

فلو حدث معشار هذا الحدث مع أحد طواغيت الأرض اليوم من الذين يحكّمون في الناس الشرائع الكفرية والقوانين الوضعية الجاهلية ويحكمونهم بالنـار والحديد. أقول: لو حدث معشار ذلك أو أقل منه لذهب يرغي ويزبد ويتوعد ويهدد ويعد العدة ويوظف رجالاته للنيل ممن فعل ذلك أو ممن تحدثه نفسه أن يفعل ذلك حتى يصل الأمر إلى القتل بالشبه والزج في =

وَتَنْزِيهاً[١]؛ وَهَذَا يَجْمَعُ: حُقُوقَ اللّهِ وَحُقُوقَ العِبَادِ.

لَكِنْ لَمَّا كَانَ تَارَةً يَعْنِي بالتَّقْوَىٰ خَشْيَةَ العَـذَاب، المُقْتَضِيَة لِلانْكِفَافِ عَنِ المَحَارِمِ، جَاءَ مُفَسَّراً في حَدِيثِ مُعَاذٍ، وَكَذَلِكَ في حَدِيثِ أبي هُرَيْرة ـ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ـ الَّذِي رَوَاه التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَه: «قِيلَ: يَارَسُولَ اللّهِ! مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «**تَقْوَىٰ اللّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**». قِيلَ: وَمَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ قَالَ: «**الأَجْوَفَانِ: الفَمُ والفَرْجُ**»[٢].

= السجون بما يدور في العقول ومحاربة النطف في الأرحام في الظلام وإنا لله وإنا إليه راجعون. فأين أولئك المنتسبين إلى الملة المعدودين على الإسلام أين هم من تلك الأخلاق العالية والفضائل السامية؟ لا أم لهم. بل الويل والخزي والعار لهم وعليهم في الدنيا والآخرة.

(١) تقدم كلام ابن القيم نقلاً عن الرسالة التبوكية وكلام طلق بن حبيب في تعريف حد التقوى. وقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في هذا التعريف: وهذا من أحسن ماقيل في حد التقوى.
وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: [وأما التقوى فهي الطريق الموصل إلى البر والوسيلة إليه، ولفظها يدل على هذا، فإنه فعلىٰ. ومن وقي يقي. وكان أصلها وقوى فقلبوا الواو تاء. كما قالوا: تراث من الوراثة. وتجاه من الوجه، وتخمة من الوخمة، ونظائرها. فلفظها دال على أنها من الوقاية فإن المتقي قد جعل بينه وبين النار وقاية. والوقاية من باب دفع الضر. فالتقوى والبر كالعافية والصحة]. الرسالة التبوكية ص ٩.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة/ باب ماجاء في حسن الخلق رقم (٢٠٠٤) وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب. =

وفــي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بن عُمَرَ ـ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُما ـ قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللّه ـ ﷺ ـ: «أَكْمَـلُ الـمُؤْمِنِينَ إِيـمَانـاً: أحسَنُهُمْ خُلُقاً»(١) فَجَعَلَ كَمَالَ الإِيمانِ في كَمالِ حُسْنِ الخُلُق.

وَمَعْلُـوم أنَّ الإيمَانَ كُلَّهُ: تَقْـوَىٰ اللّهِ، وَتَفْصِيلُ أُصُولِ التَّقْوَىٰ وَفُرُوعِهَا لاَ يَحْتَمِلهُ هَذَا المَوْضِعُ، فَإِنها الدِّينُ كُلُّهُ.

لَكنْ يَنْبوعُ الخَيْرِ وأَصْلُهُ: إِخْلاصُ العَبْدِ لِرَبِّه: عِبَادَةً، وَاسْتِعَانَةً، كَمَا فِي قَوْلِـهِ: ﴿إِيَّـاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوكَّلْ عَلَيْهِ﴾. وَفي قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْه تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ وَفي قَوْلِهِ: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ وَاعبُدُوه وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ بِحَيْثُ يَقْطَعُ العَبْدُ تَعلُّقَ قَلْبِهِ مِنَ المَخْلُوقِينَ، اِنْتِفَاعاً بِهِم، أَوْ عَمَلاً لأَجْلِهم، وَيَجْعَلُ هِمَّته رَبَّه ـ تَعَالَىٰ ـ وَذَلِكَ بِمُلاَزَمَةِ الدُّعَـاءِ لَـهُ في كُلِّ مَطْلُوبٍ مِنْ: فَاقَةٍ، وَحَاجَةٍ، وَمَخَافَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالعَمَلِ لَهُ بِكُلِّ مَحْبُوبٍ. وَمَنْ أَحْكَمَ هَذَا؛ فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ مَايَعْقُبُه ذَلِكَ.

وَأمــا مَا سَأَلْتَ عَنْـه مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمالِ بَعْدَ الفَرَائِضِ. فَإِنَّه

= وابن ماجه في كتاب الزهد/ باب ذكر الذنوب رقم (٤٢٤٦) وأحمد في المسند ٤٤٢/٢.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة/ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه رقم (٤٦٨٢) والترمذي في كتاب الرضاع/ باب حق المرأة على زوجها رقم (١١٦٢) وقال أبو عيسى: حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح وأبو يعلى في المسند رقم (٤١٦٦).

يَخْتَلِفُ باخْتِلَافِ النَّاسِ ، فِيمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَمَا يُنَاسِبُ أَوْقَاتِهِم ، فَلَا يُمْكِنُ فِيهِ جَوَابٌ جَامِعٌ مُفَصَّلٌ لِكُلِّ أَحَدٍ(١) .

لَكِنْ مِمَّا هُوَ: كَالإِجْمَاعِ بَيْنَ العُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَأَمْرِهِ: أَنَّ مُلَازَمَةَ ذِكْرِ اللَّهِ دَائِماً، هُوَ أَفْضَلُ مَا شَغَلَ العَبْدُ بِهِ نَفْسَه فِي الجُمْلَةِ، وَعَلَى ذَلِكَ دَلَّ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «**سَبَقَ المُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: يَارَسُولَ اللَّهِ: وَمَنِ المُفَرِّدُونَ؟ قال: «**الذَّاكِرُونَ اللَّه كَثِيراً والذَّاكِرَاتُ**»(٢) .

وَفِيمَا رَوَاه أَبُو دَاودَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عنه ـ عَنْ النَّبِي ـ ﷺ ـ أنه قَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُم وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ والوَرِقِ، وَمِنْ**

---

(١) وهـذا حق لأن رسـول الله ـ ﷺ ـ سُئل أكثر من مرة عن أفضل الأعمال فأجـاب ـ ﷺ ـ بإجـابـات مختلفـة تتنـاسب مع حال السـائـل وظـروفه وإمكانياته. فقد سئل عن أفضل الأعمال؟ فأجاب مرة بأن أفضل الأعمال: الحب في الله. وأجاب في مرة أخرى: أفضل الأعمال إيمان بالله.
وفي مرة أخـرى أجاب بأن أفضل الأعمال الصلاة لوقتها. وأن الجهاد في سبيل الله أفضـل العمـل. وسئـل أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حـج مبرور**» وسئـل ـ ﷺ ـ: أي العمـل أفضـل؟ قال: «**الصلاة على ميقـاتهـا**» قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء/ باب الحث على ذكر الله تعالى رقم (٢٦٧٦).

أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَارَسُولَ اللّهِ، قَالَ: «ذِكْرُ اللّهِ»(١).

والدّلائل القُرْآنيَةُ والإِيمانِيَةُ بَصراً، وَخبراً، وَنظراً عَلىٰ ذَلك كَثِيرَةٌ. وَأقلُّ ذَلِكَ أَنْ يُلاَزمَ العَبْدُ الأَذْكَارَ المَأْثُورَةَ عَنْ مُعَلِّمِ الخَيْرِ وَإِمَامِ المُتَّقِينَ - ﷺ -:

كالأذكـار المُؤَقَّتَةِ فِي أوْلِ النَّهَارِ وَآخِره(٢)، وَعِنْدَ أَخْذِ المَضْجَعِ(٣)،

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب القرآن/ باب ماجاء في ذكر الله تبارك وتعالى رقم (٢٤) والترمذي في كتاب الدعاء رقم (٣٣٧٧) وقال أبوعيسى: وقد روى بعضهم هذا الحديث عن عبدالله بن سعيد مثل هذا الإسناد. وروى بعضهم عنه فأرسله.
وابـن ماجـه في كتاب الأدب/ باب فضـل الذكر رقم (٣٧٩٠). وقـال معاذ بن جبل: ماعمـل امرؤ بعمـل أنجى له مـن عذاب الله عـز وجل مـن ذكر الله.
وأحمد بن حنبل في المسند ٥/١٩٥، ٢٣٩ و٦/٤٤٧.

(٢) وهي أذكار الصباح والمساء مثل أن يقال: أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. رب أسألك خير مافي هذه الليلة وخير مابعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر مابعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر» وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: «أصبحنا وأصبح الملك لله».
أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء رقم (٢٧٢٣).

(٣) قال رسول الله - ﷺ -: «**إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضـطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك،** =

وَعِنْدَ الاسْتِيْقَاظِ مِنَ المَنَام (١)، وَإِدْبَارِ الصَّلوَاتِ (٢).

وَالأذْكَارُ المُقَيَّدَةُ، مِثْـلَ مَايُقَـالُ عِنْـدَ الأكْـلِ، وَالشُّرْبِ (٣)،

= **وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة»**.

أخرجه البخاري في كتاب الدعوات/ باب مايقول إذا نام ٧/١٤٧ ومسلم في كتاب الذكر والدعاء/ باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع رقم (٢٧١٠).

(١) قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «. . . **وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**».

أخرجه البخاري في كتاب الدعوات/ باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن ٧/١٤٧.

(٢) عن ثوبان قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا انصرف من صلاته، استغفر ثلاثاً. وقال: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام**».

أخرجه مسلم في كتاب المساجد/ باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته رقم (٥٩١).

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبّر الله ثلاثاً وثلاثين. فتلك تسعة وتسعون. وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**». أخرجه مسلم في كتاب المساجد/ باب استحباب الذكر بعد الصلاة رقم (٥٩٧).

(٣) عن عائشة قالت: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إذا أكل أحدكم طعاماً** =

وَاللبَـــاسِ (١)، والجِـمَاعِ (٢).

= **فليذكر اسم الله. فإن نسي أن يذكر الله في أوله، فليقل: باسم الله على أوَّله وآخره»**.
أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة/ باب التسمية على الطعام رقم (٣٧٦٧) والـترمـذي في كتـاب الأطعمة/ باب ماجاء في التسمية على الطعام رقم (١٨٥٨) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٠).

(١) عن أبي سعيد أن النبيَّ - ﷺ - كان إذا اكتسىٰ ثوباً سمَّاه باسمه: عمامةٍ أو قميصٍ أو رداءٍ، ويقول: **«اللهم لك الحمد، أنت كسوتني، أسألك من خيره وخير ماصنع له. وأعوذ بك من شرِّه وشرِّ ماصنع له»**.
الحديث أخرجه أحمد ٣/ ٣٠، ٥٠ وأبوداود في كتاب اللباس/ باب ماجاء في اللباس رقم (٤٠٢٠) والترمذي في كتاب اللباس/ باب مايقول إذا لبس ثوبـاً جديداً رقم (١٧٦٧) وقـال أبوعيسى: وهذا حديث حسن غريب صحيح والحـاكم في مستدركه ٤/ ١٩٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجـاه ووافقـه الـذهبي. وابن حبان كما في الموارد رقم (١٤٤٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة/ باب مايقول إذا ليس ثوباً رقم (١٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٣٠٩) وأبو يعلى في مسنده رقم (١٠٧٩).

(٢) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبيُّ - ﷺ -: **«لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله. قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا. فإنه إن يقدَّر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً»**.
الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات/ باب مايقول إذا أتى أهله ٧/ ١٦٣ ومسلم في كتاب النكاح/ باب مايستحب أن يقوله عند الجماع رقم (١٤٣٤) وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٦٠٨).

وَدُخُـول الـمَنْـزِلِ[١] وَالـمَسْجِـدِ[٢] وَالـخَـلاَءِ[٣]، وَالـخُـــرُوجِ مِـــنَ ذَلِـــكَ، وَعِنْـــدَ الـمَطَـــرِ[٤] وَالرَّعْـــدِ[٥]، إلـــى غَيْـــرِ

---

(١) عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إذا ولج الرجل بيته فليقـل: اللهم إني أسألك خير الـمَوْلج وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنـا، وعلى الله ربنا توكلنا. ثم يسلم على أهله**» الحديث أخـرجه أبوداود في كتاب الأدب مايقول إذا خرج من بيته رقم (**٥٠٩٦**) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (**٨٣٩**).

(٢) قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إذا دخل أحدكم المسجد، فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج، فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك**».
الحديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب مايقول إذا دخل المسجد رقم (**٧١٣**) وسيأتي تخريجه كاملاً ص **٥٥**.

(٣) عن أنس بن مالـك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ ﷺ ـ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**».
الحـديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات/ باب الدعاء عند الخلاء **٧/ ١٥٠** ومسلم في كتاب الحيض/ باب مايقول إذا أراد دخول الخلاء رقم (**٣٧٥**).

(٤) عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا رأى المطر قال: «**اللهم صيِّباً نافعاً**».
الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء/ باب مايقال إذا أمطرت **٢/ ٢١**.

(٥) ورد عن عبـدالله بن الـزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: «**سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته**» ثم يقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد.

ذَلِكَ، وَقَدْ صُنِّفَتْ لَهُ الكُتُبُ المُسَمَّاةُ بِعَمَلِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ [(١)].

ثُـمَّ مُلاَزَمَةُ الذِّكْرِ مُطْلَقاً، وَأَفْضَلُهُ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» [(٢)].

وَقَـدْ تَعْـرُضُ أَحْـوَالٌ يَكُـونُ بَقِيَّةُ الـذِّكْرِ مِثْلَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، والحمدُ للَّهِ، واللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»، أَفْضَلَ مِنْهُ [(٣)].

= أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الكلام/ باب القول إذا سمعت الرعد ص ٩٩٢ رقم (٢٦).

(١) مثـل كتاب عمل اليوم والليلة للإمام النسائي وللإمام ابن السني وكتاب الأذكـار النـووية للإمـام النووي وكتاب الكلم الطيب للإمام ابن تيمية وكتاب الوابل الصيب للإمام ابن القيم وغيرها.

(٢) عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله**».
الحـديث أخرجه الترمذي في كتاب الدعاء/ باب ماجاء أن دعوة المسلم مستجابة رقم (٣٣٨٣) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.
وابن ماجه في كتاب الأدب/ باب فضل الحامدين رقم (٣٨٠٠).
والحـاكم في المستـدرك ١/٥٠٣ وقـال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٠٤).

(٣) عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**استكثروا من الباقيات الصالحات**» قيل: وماهي يارسول الله؟ قال: «**الملة**» قيل: وماهي يارسول الله؟ قال: «**الملة**» قيل: وماهي يارسول الله؟ قال: «**الملة**» قيل: وماهي يارسول الله؟ قال: «**التكبير والتهليل والتسبيح، والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله**».
الحديث أخرجه أحمد ١/٧١ و٣/٧٥ و٤/٢٦٨ وأبويعلى في مسنده رقم (١٣٨٤).

=

ثـمّ يَعْلَمُ أنَّ كُلَّ مَا تَكلَّمَ بهِ اللِسَانُ وَتَصَوَّرَهُ القَلْبُ مِمَّا يُقَرِّبُ إلىٰ اللهِ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمٍ وَتَعْلِيمِهِ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، فَهُوَ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ.

وَلهَـذَا مَن اشْتَغَلَ بطَلَبِ العِلْمِ النَّافعِ بَعْدَ آدَاءِ الفَرَائِض، أوْ جَلَسَ مَجْلِساً يَتَفَقَّه أو يُفَقِّه فِيهِ الفِقْهَ الَّذِي سَمَّاهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ فِقْهاً، فَهَذَا أيْضاً مِنْ أفْضَلِ ذِكْرِ اللّهِ.

وَعلـى ذَلِكَ إذَا تَدَبَّرْتَ لَمْ تَجِدْ بَيْنَ الأوَّلِينَ في كَلِمَاتِهِم في أفْضَلِ الأعْمَالِ كَبِيرَ اخْتِلاَفٍ.

وَمَـا اشْتَبَهَ أَمْرُهُ عَلىٰ العَبْدِ فَعَلَيْه بالاسْتِخَارَةِ الـمَشْرُوعَةِ(١)، فَمَا

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٣٠٢ قلت في الصحيح بعضه ـ رواه أحمد وأبـو يعـلى والبـزار ورجاله رجال الصحيح غير الحارث بن عبدالله مولى عثمان بن عفان وهو ثقة.

وقال في مجمع الزوائد ١٠/ ٩٠ رواه أحمد وأبويعلى إلا أنه قال: وماهن بدل وماهي. وإسنادهما حسن.

(١) عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ ﷺ ـ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقـول: اللهم إني أستخـيرك بعلمـك واستقـدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العـظيم، فإنـك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري. أو قال: في عاجل أمري وآجله فاقدره لي. وإن كنت تعلم أن هذا الأمـر شر لي في ديني ومعـاشي وعاقبة أمري. أو قال: في عاجل أمري**

نَدمَ مَن اسْتَخَارَ الله ـ تَعَالىٰ ـ. وَلْيُكْثِرْ مِنْ ذَلِكَ وَمِنَ الدُّعَاءِ، فَإِنَّه مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ، وَلَا يَعجـل، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي [1]، وَلْيَتَحَـرَّ الأَوْقَـاتِ الفَـاضِلَةِ: كَآخِرِ اللَّيلِ [2]، وَأَدْبَارِ

= وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به، ويسمي حاجته».

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات/ باب الدعاء عند الاستخارة ٧/١٦٢.

(١) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**يستجاب لأحدكم مالم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي**».

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات/ باب يستجاب للعبد مالم يعجل ٧/١٥٣.

(٢) أخرج البخاري في كتاب التهجد/ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**ينزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» ٢/٤٧.

ومسلم في كتاب صلاة المسافرين/ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل رقم (٧٥٨).

وأبوداود في كتاب السنة/ باب في الرد على الجهمية رقم (٤٧٣٣).

والترمذي في كتاب الصلاة/ باب ماجاء في نزول الرب عز وجل رقم (٤٤٦).

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها/ باب ماجاء في أي ساعات الليل أفضل رقم (١٣٦٦).

اَلصَّلَوَاتِ[1]، وَعِنْدَ الأَذَانِ[2]، وَوَقْتِ نُزُولِ الـمَطَرِ[3]، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَأمّا أَرْجَحُ الـمَكَاسِبِ: فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ، وَالثِّقَةُ بِكِفَايَتِهِ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْـمُهْتَمِّ بِأَمْرِ الرِّزْقِ؛ أَنْ يَلْجَأَ

---

(١) أخرج مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته رقم (٥٩٧) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين. فتلك تسعة وتسعون. وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**».

(٢) عن أنس بن مالك أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**ألا إن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، فادعوا**».

أخرجه أحمد في مسنده ٣/١١٩، ١٥٥، ٢٢٥، ٢٥٤. وأبو داود في كتاب الصلاة/ باب ماجاء في الدعاء بين الأذان والإقامة رقم (٥٢١) والترمذي في كتاب الصلاة باب ماجاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة رقم (٢١٢) وقال أبو عيسى: حديث أنس حديث حسن صحيح. وكذلك أخرجه في كتاب الدعوات/ باب في العفو والعافية رقم (٣٥٩٤) و (٣٥٩٥) وأبو يعلىٰ في المسند رقم (٣٦٧٩) و (٣٦٨٠) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٩٦) والبيهقي في السنن الكبرى ١/٤١٠ وفي السنن الصغرى رقم (٢٩٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٤٠٥) وحسّن رواية الحاكم رقم (٣٤٠٦).

(٣) سبق تخريجه ص ٣٧.

فِيهِ إِلَىٰ اللهِ وَيَدْعُوهُ، كَمَا قَالَ ـ سُبْحَانَه ـ فِيمَا يَأْثُرُ عَنْهُ نَبِيُّهُ: «**كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي، أُطْعِمْكُمْ. يَاعِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي، أَكْسُكُمْ**»(١) وَفِيمَا رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَنَس ـ رَضِيَ الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «**لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّها، حَتَّىٰ شَسْعِ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ، فَإِنَّه إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لم يَتَيَسَّرْ**»(٢).

وَقَـدْ قَالَ الله ـ تَعَـالَىٰ ـ فِي كِتَابِهِ: ﴿**وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ**﴾. [النساء: ٣٢]. وقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ**﴾. [الجمعة: ١٠]. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي الـجُمْعَةِ، فَمَعْنَاهُ قَائِمٌ فِي جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ.

وَلِهَـذَا ـ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ أَمَرَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ الَّذِي يَدْخُلُ الـمَسْجِدَ أَنْ

---

(١) أخـرجـه مسلم في كتـاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم رقم (٢٥٧٧). وأحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٨١٥١.

(٢) لم أقف عليه عند الترمذي كما قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ١٥٣ «رواه الترمذي غير قوله: وحتى يسـأله الملح» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة. وعن عائشة قالت: سلوا الله كل شيء حتى الشسع فإن الله إن لم ييسره لم يتيسر. رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبيدالله ابن المنادي وهو ثقة.
والحديث رواه أبو يعلى في مسنده رقم (٣٤٠٣). وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٣٥٦) و (٣٥٧) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٤٠٢).

يَقولَ: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لي أبْوابَ رَحْمَتِكَ» وَإذا خَرجَ أنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»(١) وَقَدْ قَالَ الخَليلُ - ﷺ - ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ الله الرِّزْقَ وَاعْبُدُوه وَاشْكُرُوا لَهُ﴾. [العنكبوت: ١٧]. وَهَذا أَمْرٌ، وَالأَمْرُ يَقْتَضِي الإيجَابَ. فالاسْتِعَانَةُ بالله واللُّجْأُ إليْه في أَمْرِ الرِّزْقِ وَغَيْرِه أَصْلٌ عَظِيمٌ.

ثـم يَنبغي لَهُ أَنْ يَأْخُذَ المَالَ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ لِيُبَارِكَ لَهُ فِيهِ، وَلا يَأْخُذْهُ بإشْرافٍ وَهَلَعٍ(٢)، بَلْ يَكُونُ المَالُ عِنْدَهُ: بِمَنْزِلَةِ الخَلاءِ،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب مايقول إذا دخل المسجد رقم (٧١٣) وأبوداود في كتاب الصلاة/ باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد رقم (٤٦٥) والترمذي في كتاب الصلاة/ باب ماجاء مايقول عند دخول المسجد رقم (٣١٥).
وابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات/ باب الدعاء عند دخول المسجد رقم (٧٧٢).
والنسائي في كتاب المساجد/ باب القول عند دخول المسجد وعند الخروج منه ٢/٥٣ رقم (٧٢٧) وأحمد في مسنده ٣/٤٩٧ و ٤/٤٢٥.

(٢) أخرج البخاري في كتاب الوصايا/ باب تأويل قول الله تعالى: **﴿من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ ٣/١٨٩** أن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - ﷺ - فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال لي: **«ياحكيم! إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه..»**.
وكذا أخرجه في كتاب الزكاة/ باب الاستعفاف عن المسألة **٢/١٢٩، ١٣٠** في كتاب الرقاق/ باب قول النبي - ﷺ -: **«هذا المال خضرة حلوة»** =

الَّذي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ غيرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ في القَلْبِ مَكَانَةٌ، وَالسَّعْيُ فِيهِ إذَا سَعَىٰ: كَإِصْلَاحِ الخَلَاءِ.

وفي الحديث المَرْفُوع الَّذي رَوَاهُ التِّرمذي وَغَيْرُه: «**مَنْ أَصْبَحَ والدُّنْيا أَكْبَرُ همِّه: شَتَّتَ اللهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنيا إلَّا مَا كُتِبَ لَهُ. وَمَنْ أَصْبَحَ وَالآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّه: جَمَعَ اللهُ عَلَيْه شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**»[1].

وقال بَعْضُ السَّلَفِ: أَنْتَ مُحْتَاجٌ إلىٰ الدُّنيا؛ وَأَنْتَ إلىٰ نَصِيبِكَ

= ٧/١٧٦ وفي كتاب الأحكام/ باب رزق الحكام والعاملين عليها ٨/١١١، ١١٢.

ومسلم في كتاب الزكاة/ باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى رقم (١٠٣٥) وفي باب إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف رقم (١٠٤٥).

والترمذي في كتاب صفة القيامة/ رقم (٢٤٦٣) والنسائي في كتاب الزكاة/ باب اليد العليا ٥/ ٦٠ رقم (٢٥٢٩). وفي باب مسألة الرجل في أمر لابد له منه ٥/ ١٠٠، ١٠١ رقم (٢٥٩٩) (٢٦٠٠).

والدارمي في كتاب الزكاة/ باب النهي عن رد الهدية رقم (١٦٥٤) وفي باب النهي عن المسألة رقم (١٦٥٧) وفي كتاب الرقاق/ باب الدنيا خضرة حلوة رقم (٢٧٥٣) وأحمد في مسنده ١/ ١٧، ٢١، ٤٠و٢/ ٩٩.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة رقم (٢٤٦٥) وأحمد في المسند ٥/ ١٨٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٥١٠).

منَ الآخرَةِ أحْوجُ، فإنْ بَدأْتَ بنَصيبكِ منَ الآخرةِ مُرّ علىٰ نَصيبكَ منَ الدُّنيَا؛ فانتَظمْه انْتِظاماً. قَالَ الله ـ تَعالىٰ ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ* ما أُرِيدُ مِنْهُم مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ* إنَّ الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَةِ المَتِينُ﴾. [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فأمّا تَعْيينُ مكْسَبٍ علىٰ مَكْسَبٍ مِنْ صِناعَةٍ، أَوْ تجارَةٍ، أَوْ بنايَةٍ، أَوْ حِراثَةٍ، أَوْ غيرِ ذلكَ، فَهذَا يَخْتَلِفُ باخْتلاَفِ النَّاس، وَلاَ أَعْلَمُ في ذَلِكَ شَيْئاً عَامًّا، لكنْ إذَا عَنّ للإنْسَانِ جهَةً فَلْيَسْتَخِرِ الله ـ تَعالىٰ ـ فيهَا الاسْتخَارَةَ المُتَلَقّاةَ عَنْ مُعَلِّمِ الخَيْرِ ـ ﷺ ـ فَإنَّ فيهَا منَ البَرَكَةِ مَالاَ يُحاطُ به. ثُمَّ مَاتَيَسَّرَ لَهُ، فَلاَ يتكلَّفُ غيْرَهُ؛ إلَّا أَنْ يَكُونَ مِنه كَراهةٌ شَرْعيَّةٌ.

وأما مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْه منَ الكُتُبِ في العُلُوم: فَهَذَا بَابٌ واسعٌ، وَهُوَ أَيضاً يَخْتَلِفُ باخْتلاَفِ نَشْءِ الإنْسَانِ في البلاَدِ، فَقَدْ يَتيسَّرُ لَهُ في بَعْضِ البلادِ منَ العِلْمِ، أوْ مِن طَريقِهِ، وَمَذْهَبِهِ فيهِ مَا لاَ يَتيسَّرُ لَهُ في بَلَدٍ آخَر.

لَكِنْ جمَاعُ الخَيْرِ أنْ يَسْتَعينَ بالله ـ سُبْحَانه ـ في تَلَقِّي العِلْمِ المَوْرُوثِ عَن النَّبيِّ ـ ﷺ ـ فَإنَّـه هُوَ الَّذي يُسْتَحقُّ أَنْ يُسَمَّى عِلْماً، وَمَا سِواهُ إمَّا أَنْ يكُونَ عِلماً، فَلاَ يكُونُ نَافِعاً، وَإمَّا أَنَ لاَ يَكُونَ عِلْماً وَإنْ سُمِّيَ به. وَلَئِنْ كَانَ عِلْمًا نَافِعًا فَلاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ في مِيرَاثِ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ مَا يُغْني عَنْه؛ مِمَّا هُوَ مِثْلُهُ وَخَيْرٌ منه.

وَلْتَكُنْ هِمَّتُهُ فَهْمَ مَقَاصِدِ الرَّسُولِ في أَمْرِه وَنَهْيِه وَسَائرِ كَلاَمِهِ.

فَإِذَا اطْمَأَنَّ قَلْبُه: أَنَّ هَذَا هُوَ مُرادُ الرَّسُولِ ؛ فَلاَ يَعْدِلْ عَنْهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ـ تعالى ـ وَلاَ مَعَ النَّاسِ إِذَا أَمْكَنَهُ ذَلِكَ.

وَلْيَجْتَهِدْ أَنْ يَعْتَصِمَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ العِلْمِ بِأَصْلٍ مَأْثُورٍ عَنِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ. وَإِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِمَّا قَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ، فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ: جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اُخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» (١).

فَإِنَّ اللهَ ـ تَعَالَىٰ ـ قَدْ قَالَ فِيمَا رَوَاه عَنْهُ رَسُولُهُ: «**يَاعِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ، إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي، أَهْدِكُمْ**» (٢).

وَأَمَّا وَصْفُ «الكُتُبِ وَالـمُصَنِّفِينَ»، فَقَدْ سُمِعَ مِنَّا فِي أَثْنَاءِ الـمُذَاكَرَةِ مَا يَسَّرَهُ اللهُ ـ سُبْحَانَه ـ.

وَمَا فِي الكُتُبِ الـمُصَنَّفَةِ الـمُبَوَّبَةِ: كِتَابٌ أَنْفَعُ مِنْ «صَحِيحِ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين/ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه رقم (٧٧٠) وأبـو داود في كتاب الصلاة/ باب مايستفتح به الصلاة من الدعاء رقم (٧٦٧) وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها/ باب ماجاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل رقم (١٣٥٧).

(٢) تقدم تخريجه.

مُحَمَّـدِ بْنِ إِسْـمَاعِيلَ البُخَارِيِّ»، لَـكِنْ هُوَ وَحْدُهُ لَا يَقُومُ بِأُصُولِ العِلْمِ، وَلَا يَقُومُ بِتَمَامِ الـمَقْصُودِ لِلـمُتَبَحِّرِ فِي أَبْوَابِ العِلْمِ، إِذْ لَابُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحَادِيثَ أُخَرَ.

وَكَـلَامُ أَهْلِ الفِقْهِ، وَأَهْلِ العِلْمِ فِي الأُمُورِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِعِلْمِهَا بَعْضُ الـعُلَمَاءِ. وَقَدْ أَوْعَبَتِ الأُمَّةُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ العِلْمِ إِيعَاباً.[1]

---

(١) أول مايعتني به طالب العلم في سبيل تحصيله للعلوم هو القـرآن الكريم حفظاً وفهماً وتدبراً ووقوفاً على دلائله ومعانيه وأفضل ماكتب في تفسيره كتاب إمام المفسرين ابن جرير الطبري. وكذا تفسير ابن كثير والقرطبي والبغوي ومن المعـاصرين أضـواء البيان للشنقيطي وفي ظلال القرآن لسيد قطب رحمهم الله جميعاً.

ومن كتب السنـة وشروحها صحيح الإمام البخاري وشرحه فتح الباري للحافظ ابن حجر وصحيح الإمام مسلم وشرحه للإمام النووي وشرح آخر للإمام القرطبي والسراج الوهاج لصديق حسن خان.

وكذا كتب السنن وشروحها مثل تحفة الأحوذي لشرح الترمذي وعون المعبود بشرح سنن أبي داود والفتح الرباني بشرح مسند الإمام أحمد وغير ذلك من كتب السنة مثل كتاب السنة للالكائي وابن أبي عاصم.

أمـا كتب التـوحيد والعقائد مثل كتاب شرح العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية وكتاب لوامع الأنوار البهية وكتاب التوحيد لابن خزيمة وكتاب التـوحـيد لابـن رجب الحنبـلي بتحقيقي وكتـاب التـوحيد للإمـام محمـد بن عبدالوهاب وكتاب العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي وكتاب الإيمان لابن منده ولابن أبي شيبة.

فَمَنْ نَوَّرَ الله قَلْبَهُ هَدَاهُ بِمَـا يَبْلُغُه مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ أَعْمَاهُ لَمْ تَزِدْهُ كَثْرَةُ الكُتُبِ إلا حِيرَةً وَضَلالاً(١)، كَمَا قَالَ الـنَّبِيُّ - ﷺ - لأبي لُبيدٍ الأنصَاري: «**أَوَلَيْسَتِ التَّوْرَاةُ والإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ والنَّصَارَىٰ؟! فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟**»(٢).

= وبالجملة كتب العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وكتب ابن رجب الحنبلي وكتب الإمام محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وأحفاده وتلاميذه وكتب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز والعلامة الألباني وفضيلة الشيخ ابن عثيمين والأستاذ سيد قطب والأستاذ محمد قطب وغيرهم.

(١) فهم أشبه حالاً ومآلاً ممن قال الله فيهم وهو أصدق القائلين: ﴿**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾. [الجمعة: ٥].
وهم أشبه حالاً ومآلاً بالإبل التي يقتلها الظمأ في جوف الصحراء وهي تحمل الماء على ظهورها لم تفد منه ولم ترتو وقد صورها الشاعر بقوله:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما … والماء على ظهورها محمول

(٢) عن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله - ﷺ - فشخص ببصره إلى السماء. ثم قال: «**هـذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه على شيء**». فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟! فوالله لنقرأنه ولنقرئنَّه نساءنا وأبناءنا. فقال: «**ثكلتك أمك يازياد إن كنت لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة! هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟**» فقال جبيرٌ: فلقيت عبادة بن الصامت. قلت: ألا تسمع إلى مايقول أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء. قال: صدق أبو الدرداء، إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع =

فنسـأل اللهَ العَظِيمَ أَنْ يَرْزُقَنَا الهُدَىٰ والسَّدَادَ، وَيُلْهِمَنَا رُشْدَنَا، وَيَقِينَا شَرَّ أَنْفُسِنَا، وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهبَ لَنَا مِنْ لَدُنْه رَحْمَةً إِنَّه هُوَ الوَهّابُ، والحمدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الـمُرْسَلِينَ.

= من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً.

أخرجه أبو عيسى الترمذي في كتاب العلم/ باب ماجاء في ذهاب العلم رقم (٢٦٥٣) والدارمي في المقدمة/ باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله رقم (٢٩٤).

فهرس الموضوعات

كتب للمحقق

١ ـ كتاب التوحيد	لابن رجب الحنبلي	نشر دار القاسم
٢ ـ الصلاة	للامام احمد بن حنبل	نشر دار القاسم
٣ ـ صوم النبي ـ ﷺ ـ	ابن القيم الجوزية	دار السلام
٤ ـ غاية النفع	ابن رجب الحنبلي	دار الحميضي
٥ ـ الوصية الصغرى	لشيخ الاسلام ابن تيمية	دار الحميضي
٦ ـ وقفات مع الأسرة		دار الوطن
٧ ـ تذكير ذوي القلوب		دار السلام
٨ ـ المؤمن بين البلاء والصبر		دار الحميضي
٩ ـ أيهما آمن!		دار المسلم
١٠ ـ الصراع مع الشيطان		دار الفاروق
١١ ـ الجريمة الأولى		دار الفاروق
١٢ ـ الطاغوت الأكبر		دار الفاروق

(قصص للأطفال)

١٣ ـ جزاء من لم يسمع كلام أبويه	دار القاسم
١٤ ـ الأدب مع الله عز وجل	دار المعراج الدولية
١٥ ـ الأدب مع رسول الله ـ ﷺ ـ	دار المعراج الدولية
١٦ ـ الجماعة رحمة والفرقة عذاب	دار ابن الجوزي
١٧ ـ كما تدين تدان	دار ابن الجوزي